التأثير الأرسطي على فلسفة هايدغر

* أحمد ماريف

إن طريق هايدغر هو طريق المخاطرة الفلسفية الكبرى كما يصفه جعفر عبد السلام جعفر، فهو أي هايدغر يريد العودة إلى الأصول الفلسفية الأولى بغرض قراءتها من جديد وهذا في ضوء هدفه الفلسفي الأوحد **"السؤال عن معنى الوجود"**،فكان طريقه هو طريق العمق والأصالة، وبهذا فهو سيعيد التفكير في التصورات الأساسية للفلسفة الغربية فكان هذا التفكير حوارا عميقا مع تاريخ الفلسفة ومع مختلف الفلاسفة محاولا العودة إلى اللحظة التي كان يفكر فيها هؤلاء الفلاسفة وساعيا إلى الكشف عن الذي لم يقولوه، ولعل من أبرز هؤلاء نجد أفلاطون (428-348 ق.م) وأرسطو (384 -322 ق.م) هذا الأخير الذي هو محاوره المفضل، فما كان له من سبيل سوى فتح حوار معه محاولا استشكال فكر هذا الفيلسوف، من هنا تتبين لنا أهمية إجراء حوار مع الفكر اليوناني الصبحي بتعبير هايدغر ممثلا في أرسطو. ولطالما تحدث هايدغر عن أهمية الحوار والنقاش، فكان حواره حوار تحرر وهذا من خلال الاستحضار والاستذكار، وهو حوار سيعود بنا من خلاله هايدغر إلى التصور الأرسطي للوجود مؤكدا فيه على **"الأولوية الأنطولوجية للوجود على الموجود من جهة، وللأولوية الأنطولوجية للآنية على جميع الموجودات من جهة أخرى"**[1].لكن هذا السؤال عن الوجود هو سؤال منسي، وهذا السؤال المنسي هو الذي يدور حوله فكر هايدغر.

والأنطولوجيا هي مصطلح فلسفي يشير إلى البحث في الوجود، وهي أيضا مصطلح استخدمه أرسطو كموضوع للميتافيزيقا أو الفلسفة الأولى وهذه هي الانطولوجيا التقليدية والانطولوجيا في معناها المعجمي هي كلمة ترجع إلى الألماني كريستيان وولف (1679-1754)، وهي **"باب من أبواب الفلسفة ينظر عقلا في الكون من حيث هو كون"**[2]. وهي أيضا تشير إلى **" دراسة أو معرفة ما هي علية الأشياء بذاتها من حيث هي جواهر فريدة"**[3]، أما كلمة المذهب الأنطولوجي فهي **" تعبير عن الاتجاه إلى دراسة سمات وطبيعة الوجود في ذاته أو الموجودات في ذاتها"**[4].

وفيما يخص علاقة هايدغر بأرسطو وتحديدا أنطولوجيته وتركيزنا على هذا الأخير من الفلاسفة الإغريق فإن هذا راجع إلى تلك العلاقة بين الفيلسوفين، لكن هذا لا يمنعنا من الإشارة ولو بإيجاز لموقف هايدغر من الكثير من الفلاسفة وتحديدا أستاذ أرسطو أفلاطون الذي تعلم منه هايدغر **"كيف ننصت إلى الوجود وندائه"**[5] وإذا كانت نظرية المثل هي لب فلسفة أفلاطون فإن هايدغر سيبدأ تفسيره لأفلاطون انطلاقا من هذه النظرية وتحديدا "رمز الكهف" ساعيا إلى قراءة المسكوت عنه في فكر أفلاطون. فهذا الأخير وبحسب القراءة الهايدغرية فإنه يكون قد أحدث تحولا في ماهية الحقيقة والوجود باعتبار أن " الأليثيا " هي مساوية للوجود عند هايدغر، وهذا التحول كان من خلال جعل أفلاطون لعام المثل الذي هو في حقيقته غير موجود وغير واقعي في المرتبة الأولى، وجعل الوجود الذي هو حقيقة الحقيقة في المرتبة الثانية، فكانت المثل هي الموجود الحق ووجود الموجود لا يحقق ذاته ووجوده إلا في المثال، فكانت هذه بداية نسيان الوجود في الفكر الغربي الذي يمتد إلى غاية نيتشه.

تكمن أفلاطون اهميته في كونه **"أول من نظر في كنه الكائن وماهيته وحقيقته لما أجاب عن سؤال الكائن بالقول: ما كانت كينونة الكائن الكائن سوى "فكرته" أو " وجهه "الذي هو أصل ظهوره وبروزه وتجليه"**[6]، وهكذا كانت الفكرة أو المثال هي التي تمثل وتعبر عن كينونة شيء ما (الكائن)، فالفكرة هي من تجعل من الشيء موجودا ومن الكائن كائنا، فالتصور القبلي للشيء هو مصدر كينونته، وهذه العلاقة بين الكائن والفكرة هي ما أسماها أفلاطون بالمشاركة **" فالفكرة هي الوجه الذي بدءا منه يظهر الكائن"**[7] وهكذا أصبحت الكينونة فكرة أو مثالا مع أفلاطون، فانكشاف صار مستتبعا للفكرة.

أما بالنسبة لأرسطو فيمكن القول عليه أنه هو من سينظر إلى الوجود انطلاقا من الواقع، وفهم موقفه الفلسفي يبقى مهمة مفتوحة للإنجاز، وهذا ما جعل هايدغر يطرح السؤال التالي **" كيف نقرأ أرسطو؟"**[8] ويجيب بأنه لا يجب قراءته بسلفه أفلاطون وإنما يجب قراءته بمتنه وهذا ما جعله يسعى إلى فهمه.

وكان أرسطو قد أسس لسؤال الكائن أي ما هو الكائن من حيث هو كائن ؟ وبعبارة أخرى ما الذي يشكل كينونة الكائن ؟ وكان بهذا هو أول من عبر عن السؤال الذي بحثت فيه الفلسفة على الدوام، كما أن أرسطو هو أول من قدّم تأويلا حقا للكينونة باعتبارها **فوزيس**، وهذا من خلال كتابه "الطبيعة" الذي قام هايدغر بالبحث فيه والبحث في لحظات تشكله معاودا بذلك استشكاله، كونه **" كتاب الفلسفة الغربية الأساسي"**[9]. فهو حافظ على السؤال الذي طرح على أفلاطون أي ما كينونة الكائن ؟لكنه أعاد صياغة إجابات جديدة، فهو لم يتصور الكائنات باعتبارها صورا، وإنما نظر إليها باعتبارها كائنات متغيرة أي في تغير وتحول، وبهذا كان قد فهم الكينونة باعتبارها تحولا

وتبدلا فكان **" أول من نظر إلى الكينونة باعتبارها حركة، أي أنه أول من نظر إلى كينونة الحركة وتنبه إلى أن كنه الكائن أنه الكائن المتحرك"**[10] ونجد هايدغر يحدد كنقطة انطلاق لبداية فكره عبارة أرسطو **" يوصف الكائن بطرق متعددة"**[11]حيث وضحها فرانس برانتانو(1838-1917) أستاذ إدموند هوسرل (1859-1938) في مقالته التي كتبها عام 1862 والتي تحمل عنوان **" تعدد الدلالات للكائن عند أرسطو " أو" المعاني المتعددة للوجود عند أرسطو "** وتلقى هايدغر هذه المقالة عن طريق صديقه "كورنارد غروبر، وكانت هذه المقالة بمثابة القراءة الفلسفية الأولى لهايدغر والتي وجهته إلى التساؤل عن معنى الكينونة.

إذن فإن لقاء هايدغر بأرسطو كان من خلال هذه الرسالة التي أهداها له كونارد غروبر الذي هو صديقه وهذا ما جعل هايدغر يقول عن هذه الرسالة: **" قدمت رسالة برانتانو للدكتوراه وعنوانها حول المعاني المتعددة للوجود عند أرسطو عونا كبيرا لي ووجهت محاولاتي الأولى في الدخول إلى عالم الفلسفة... فقد وضعت التساؤل التالي:إذا كان الوجود يقال بمعان مختلفة فما هو المعنى الأساسي له؟ وما معنى الوجود؟"**[12] وفي هذه الرسالة بيّن برانتانو أن كلمة الموجود تقال بمعان شتى فمنها الموجود بالعرض والموجود الضروري والموجود بالقوة والموجود بالفعل. ..أو الكائن بذاته والكائن بالعرض والكائن بالقوة والكائن بالفعل.

وكانت هذه الرسالة التي قرأها هايدغر وهو لم يتجاوز سن 18 عاما من عمره بمثابة المهماز والدافع إلى تأسيسه ووضعه لسؤال الوجود،إلا أنه لم يقف كما وقف أرسطو عند تأمل الموجود، فإذا كانت الميتافيزيقا التقليدية **" تتساءل عن وجود الموجود (أرسطو)**،

تتساءل عن وجود الموجود انطلاقا من الموجود. تتساءل عما هو موجود في الموجود، فيم يقوم في الموجود وجوده. .."[13] فإن هايدغر سيتجاوز أرسطو ولا يكتفي بالسؤال عن الموجود بل سيتساءل عن الوجود ذاته، أي عن الشيء الذي يجعل كل موجود موجودا، إنه الوجود ذاته، وهذا ما جعل هايدغر يعلن في مؤلفه العمدة الصادر عام 1927 ما يلي: **"إن سؤال الوجود أصبح منسيا"**[14]******. وهنا يتساءل هايدغر ويقول : **" هل لدينا في عصرنا جواب عما نقصده من لفظ الموجود؟ كلا – ولكن هل انتابتنا الحيرة على الأقل لعجزنا عن فهم لفظ الوجود؟ كلا – لذلك يتحتم علينا بادئا ذي بدء أن نثير في أنفسنا من جديد فهما لمعنى الوجود"**[15]*******.

فإذا كان أرسطو قد تساءل عن الموجود بما هو موجود فإن هذا التساؤل الأرسطي دفع بهايدغر إلى التساؤل عن الشيء الذي وقع في النسيان والذي هو الوجود ذاته. والكائن عند أرسطو هو من يملك خاصية "الإبانة" أي " الإظهار" و"الحضور"، وهكذا كانت الحقيقة عند أرسطو هي **"ما من شأنه أن لا ينحجب"**[16] أي ما هو بائن وظاهر، والإبانة باعتبارها نمط كينونة الإنسان بما هو مبين ومنفتح.

ولكن رغم هذا التصور للكائن عند أرسطو من حيث هو كائن متحرك وبائن وحاضر في الزمن ،لكن يبقى في فكره ما لم يفكر فيه، فكان هذا الذي ما لم يفكر فيه أعظم مما فكر فيه أرسطو بحسب هايدغر، فهو إن نظر في تعدد الكائن فإنه لم ينظر في الكينونة، أي أنه طرح مسألة الكائن ولم يطرح مسألة **الكينونة "فلئن طرح السؤال الموجه للميتافيزيقا ما الكائن؟فإنه لم يطرح السؤال الجوهري ما**

الكينونة "[17] وهذا ما جعل هايدغر يستأنف طرح مسألة الكينونة و**"تجديد الإصغاء إلى ندائها الذي ما عاد يسمع"**[18].

فكان هايدغر يحاور الإغريق وأرسطو خصوصا ليحدد ما أنجزه وما لم ينجزه وما فكر فيه وما لم يفكر فيه، فوجد أنه فكّر في الكائن ولم يفكّر في الكينونة، فكانت مشكلته أنه وقف في منتصف الطريق، فلئن كان قد فكّر في الكائن ووجه نظره إليه باعتباره نفسا فإنه لم يفكّر أبدا في الكينونة ولم يستشكل أمرها.

لكن هذا لا يعني أن الإغريق لم يكن **"لديهم مفهوم معين عن الكينونة وفهم محدد لها ما دام يستحيل على الإنسان ألا يكون له فهم ما للكينونة، وإنما معناه أنهم اعتبروا معنى الكينونة هو معنى طبيعي وبديهي لا يحتاج إلى استيضاح ولا يثير استشكالا"**[19]، فالإغريق ومن شدة نظرهم إلى الكينونة باعتبارها الشيء الأكثر بداهة ووضوحا تناسوها وهذا ما جعل هايدغر يؤكد في بداية كتابه "الوجود والزمان" أن سؤال الوجود أصبح منسيا.

فأرسطو والفلسفات التقليدية عموما قد نظروا إلى الوجود باعتباره أكثر الأشياء عمومية، لكن هذا لا يعني أنه أكثرها وضوحا، بل هو عند هايدغر أكثر التصورات غموضا وخفاء.

وفضل أرسطو على هايدغر يتمثل في كونه جعل هذا الأخير يكتشف تلك العلاقة الحميمية بين الوجود والحقيقة، لكن وبحسب هايدغر فإن الفلسفة عند أرسطو لا تخرج عن **"إطار الموجود بأي حال من الأحوال وهي إما أنها أنطولوجيا وذلك عندما تبحث في الموجود بما هو موجود، أو أن تكون لاهوتا وذلك حين تتحدث عن الوجود**

المطلق (الله)"[20].و هذا ما جعل هايدغر يصف فلسفة أرسطو بأنها أنطولوجية –لاهوتية.

وفيما يلي يمكن توضيح أهم الجوانب التي تأثر فيها هايدغر بأرسطو وهذا من خلال تصوره للوجود باعتباره أكثر الأشياء عمومية أي باعتباره وجودا متعاليا، لكن إذا كان هذا الوجود أكثر الأشياء عمومية إلا أنه لا يعني أنه أكثرها وضوحا بل هو أكثرها غموضا وخفاء.

وإذا كان الوجود أكثر الأشياء عمومية فإنه بهذا لم يعد يثير أي مشكلة بل صار شيئا بديهيا وهذا ما جعله يقع في النسيان، بينما في حقيقة الأمر هو مختلف عن باقي الموجودات، ولهذا فنحن مطالبين بالبحث عن معنى الوجود.

كما أن أرسطو وكل الأنطولوجيات التقليدية قد جعلوا من الوجود أكثر الأشياء وضوحا، فإنه لمّا كنا نحيا في هذا الوجود وكان هذا الوجود خافيا فإن هذا يستدعي إثارة السؤال عنه. أي وجب أن نؤسس لما أسماه هايدغر ب "الفرق الأنطولوجي"و لهذا وجب علينا أن نؤسس لآنية فاهمة لذاتها، أي أن نجعل "موجودا ما "مدركا لوجوده الخاص. وبهذا فإنه سيعمل على تحليل الوجود الإنساني أو ما أطلق عليه "الدزاين" وهذا في معرض سؤاله عن الوجود، ومفهوم الدزاين هو مصطلح ألماني أصيل، وهو مصطلح بحسب " جون بوفريه" ممتنع عن الترجمة، وهو ليس مرادفا للكائن الإنساني. وهو ليس معطى كما يعطى الإنسان بالولادة بل هو مشروع، وبإمكان الإنسان أن يصير " دزاينيا "إن هو أراد. **"فما كان من شأن الدزاين أن يقول -ها أنا ذا- أو –هو ذا أنا موجود – وإنما بالأحرى إنه يوجد هناك ،فهو – الكائن هناك-،المنشرح، المنفتح"**[21].

ومن خلال هذا اللقاء والحوار والعودة إلى اللحظة التي كان يفكر فيها أرسطو سيؤسس مارتن هايدغر لأنطولوجيته الأساسية التي تقوم على أساس البحث في الفرق بين الوجود والموجود وسيؤسس لنا بارتكازه على منهج أستاذه إدموند هوسرل أو بفينومينولوجيته المطورة عن فينومينولوجية أستاذه هوسرل: **الفينومينولوجيا الهرمينوطيقية**، وهذا بعد بحثه في تاريخ الكينونة بدءا بالإغريق ووصولا إلى المثالية الألمانية خاصة مع ممثلها إمانويل كانط (1724-1804)الذي يعتبره أعظم مفكر بعد أرسطو، بالإضافة على هيغل (1770-1831). وهنا سيجد أن هذا التاريخ الطويل للفلسفة الغربية هو تاريخ نسيان وتحديدا تاريخ نسيان الكينونة أو الوجود وهذا بدءا من الكهف الأفلاطوني ووصولا إلى غاية إرادة القوة النيتشوية التي هي الختم الأخير على الميتافيزيقا الغربية.

وهذا التأسيس الهرمينوطيقي الفينومينولوجي سنتبينه بصفة أعمق وأوسع في الفصول والمباحث اللاحقة.

مما سبق يتضح أن هايدغر كان يهدف إلى إعادة الإهتمام ولفت الانتباه إلى الوجود من جهة، وإلى تأسيس علم جديد أطلق عليه اسم **" الانطولوجيا الأساسية"** الذي يمثل الدزاين أو ما سماه عبد الرحمن بدوي بالآنية المعبر والوسيط الذي يؤدي إلى فهم الكينونة وتوضيح معنى السؤال عنها، فكان بهذا الوجود والموجود متكاملان إذ يقول:**"إنه لما ينتمي إلى حقيقة الوجود أنه يحضر من دون الموجودات، ولمن لا يوجد موجود من دون الوجود المطلق"**[22].

فمع هايدغر سنشهد تحولا للسؤال الميتافيزيقي وهو تحول كتالي: لماذا يشغل الفكر نفسه بالموجودات وليس بالوجود؟ وانطلاقا من هذا سيحمل هايدغر على عاتقه مهمة تجاوز الميتافيزيقا التي نسيت الوجود

واهتمت بالموجود :لكن هذا النسيان هو ذاته جزء من ماهية الوجود بل هو **"من صميم الوجود"**[23]، وسيكون فعل الاستذكار بمثابة استرجاع لهذا الوجود المنسي وتجاوزا لتلك الأنطولوجيا الأرسطية التي حددت نفسها كعلم للوجود بما هو موجود، بينما ظلت حقيقة الوجود متحجبة.

*-باحث،جامعة عبد الحميد ابن باديس-مستغانم-الجزائر.

المراجع :

1- صفاء جعفر عبد السلام جعفر، الوجود الحقيقي عند مارتن هايدغر ،منشأة المعارف ،ط 1 ،2000،ص 15.

-2 André Lalande, Vocabulaire technique et critique de la Philosophie, 3 volumes, traduction arabe de Dr. Khalil A. Khalil et Ahmed Oueidat , Edition Oueidat , Beyrout-Paris p 912.

3- المرجع نفسه ص 912.

4- المرجع نفسه ص 913.

5- صفاء جعفر عبد السلام جعفر ،المرجع السابق، ص 44.

6- محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،ط 1 ،2008، ص 349.

7-محمد الشيخ، المرجع نفسه، ص، 351.

8- المرجع نفسه، ص ،358.

9- المرجع نفسه ،ص 358.

10- المرجع نفسه، ص 360.

11- فرانسوا داستور، هايدغر والسؤال عن الزمن ،تر: سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ،لبنان ،ط1 ،1993،ص 27.

12-صفاء جعفر عبد السلام، المرجع السابق، ص 52.

13- عبد السلام بنعبد العالي، أسس الفكر الفلسفي المعاصر، مجاوزة الميتافيزيقا ،دار توقبال للنشر والتوزيع، المغرب ،ط 1 ،2000 ،ص 47

-14 Martin Heidegger, Etre et temps ; traduction par Emmanuel Martineau, Edition numérique hors commerce, 1985, p 25.

** «La question et aujourd'hui tombée dans l oubli »

-15 M H ,Ibib ,P 21

*** « Avons –nous aujourd'hui une repense à la question de sovoir ce que nousentendons à proproments parler par le mot –étant- Nullement. Ainsi, il s'impose de poser à neuf *la question du sens de l'être*. Et sommes-nous donc aujourd'hui seulement dans l'embarras de ne point comprendre l'expression « être » ? Nullement. Ainsi, il s'impose, au préalable, de réveiller tout d'abord une compréhension pour le sens de cette question ».

16- محمد الشيخ، المرجع السابق، ص 362

17-محمد الشيخ المرجع السابق ،ص 364.

18- المرجع نفسه، ص 365.

- المرجع نفسه، ص 365. 19

20- جمال محمد أحمد سليمان، مارتن هايدغر الوجود والموجود، دار التنوير للطباعة والنشر د ط ،2009، ص41.

21- محمد الشيخ،المرجع السابق ،ص 134.

22- هانز جورج غادامير ،طرق هايدغر ،تر:حسان ناظم،علي حاكم صالح ،دار الكتاب الجديدة المتحدة ،ط1 2007،ص 126.

23- عبد السلام بنعبد العالي ،المرجع السابق ،ص 43.